العرب
الخميس 2021/09/16
السنة 44 العدد 12181

الغناء الكورالي يوحّد السوريين موسيقيا في ملتقى الجوقات

ميساك باغبودريان: فن الكورال جسر الوصول إلى شعب واحد

مئتان وخمسون مشاركا ينشدون التراث الغنائي السوري بصوت واحد

يرتقي فن الغناء الجماعي في سوريا إلى ما هو أبعد من كونه غناء يقدّم مجموعة من الألحان والأشعار التي يحفظها الناس في وجدانهم، ليكون عنصرا وطنيا يجمع المختلف. وفن الغناء الجماعي له جذور عميقة في تاريخ الشعب السوري والبعض يجعله حصانا رابحا في معركة الزمن المعاصر المتّسم بالتفرقة والعنف ليكون جسر تواصل ما بين مكوناته المختلفة. وملتقى الجوقات السورية خطوة في هذا الاتجاه.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – يُعرف عن سوريا أنها بلد عريق ضارب في جذور التاريخ عاشت على أرضه المئات من الأقوام والحضارات والأعراق البشرية المختلفة. وهذا ما أوجد وراءه تنوّعا كبيرا في اللغات والفنون وأساليب العيش. ومن خلال تكوينات شعبية عديدة، منها الموسيقى، خلص هذا المزيج البشري إلى بناء الحالة السورية الواحدة.

ورغم إكراهات الحرب التي مرّ بها البلد على امتداد عقد من الزمن، لكن معظم السورين يصرّون على أن التكامل والتعايش الذي ربطهم ببعضهم بعضا لمئات السنين سيبقى، وستكون سوريا واحدة بأهلها وفنها مهما حدث.

واقع جديد

من خلال هذه النظرة يغدو فن الكورال (الجوقات) واحدا من المرتكزات التي يبني عليها جزء من الشعب السوري جهوده للوصول إلى فكرة الوطن الواحد. وفن الكورال عريق في سوريا يمتدّ إلى فترات زمنية بعيدة. فقد احتفت بالغناء الجماعي الكنائس والجوامع. فغدا فيها ركنا أساسيا في الأنشطة الموازية للطقس الديني.

كذلك اهتمت به بعض الفعاليات الثقافية المحلية، فتأسّست بعض الجوقات في أطراف المدن السورية ومراكزها، هدفها تقديم الغناء التراثي والحفاظ عليه من الضياع. وساهمت الدولة في موضوع الغناء الجماعي وشكّلت فرقة للفنون الشعبية التي عنيت بتقديم وصلات من الغناء التراثي والرقص، على أن الأزمة السورية التي عصفت بالبلاد جراء الحرب بدّدت العديد من الجهود التي بذلت خلال العشرات من الأعوام في تأسيس هذه الجوقات، وبات هذا الفن محاصرا بمخاطر التلاشي. لكن نشاطا هاما بذل خلال السنوات القليلة الماضية، خاصة من قبل بعض الكنائس في عموم سوريا للمحافظة على هذا الشكل الفني من الغناء الجماعي، وهو ما نجح المجتمع السوري في تفعيله في السنوات الأخيرة، فأنشئت العديد من الجوقات الجديدة في أكثر من محافظة.

وفي العام 2017 وبمبادرة من المايسترو ميساك باغبودريان تمّ إطلاق مشروع ملتقى جوقات سوريا الأول الذي استضافته دار الأسد للثقافة والفنون في نهاية شهر فبراير من العام 2017، وذلك بحضور أربع جوقات من دمشق وخمس من بقية المحافظات السورية.

ولاقى المشروع حينها ترحيبا كبيرا من الجمهور المتعطّش لهذا النمط من الفنون، الأمر الذي دفع إلى إقامة الملتقى الثاني منه وفي الدار ذاتها، مؤخرا، وذلك بحضور أكبر لجوقات من باقي المحافظات السورية، والتي بلغ عددها ستا من خارج دمشق وأربعا منها، وبما يفوق المئتين وخمسين مشاركا في الملتقى، قدّمت الجوقات مقطوعات من موروث المجتمع السوري السرياني والكردي والعربي القديم والجديد كما أنشدت ترنيمات كنسية مختلفة ومقطوعات حديثة.

مشاركات متنوّعة

ضمن الأجواء التطويرية التي هدف إليها الملتقى في نسخته الثانية توسّعت المشاركة، فحضرت من دمشق أربع جوقات، هي كورال الحجرة التابع للمعهد العالي للموسيقى بدمشق بقيادة ميساك باغبودريان، وجوقة قوس قزح بقيادة حسام الدين بريمو، وكورال غاردينيا بقيادة غادة حرب وجوقة مار أفرام السرياني البطريركية بقيادة شادي سروة.

وشارك من المحافظات السورية كورال أرجوان في طرطوس بقيادة بشر عيسى، وكورال حنين من صافيتا بقيادة ماهر رومية، وكورال الراعي الصالح من اللاذقية بقيادة إلياس سمعان، وكورال سبينتاريان من حلب بقايدة مارغريت خجادريان بندك، وجوقة صدى من بيرود بقيادة باسل حداد، وجوقة السيدة العذراء أم الزنار للسريان الأرثوذكسي من حمص بقيادة إسكندر يوشع.

ولا يتعلّق موضوع وجود الغناء الجماعي بأنه يقوم على الغناء فحسب، بل إن المعنيين ينظرون إلى أنه يحقّق حالة من التناغم الثقافي والحضاري والديني بين مكونات المجتمع السوري العديدة والمختلفة.

وفي فن الكورال يلتقي الاختلاف العرقي أو الديني أو غيره موسيقيا، والاختلاف هنا يكون في النغمات ودرجاتها وآلات عزفها وكذلك من خلال طبيعة المشاركين فيه. لكنه في المقابل، أي فن الكورال، يجمع المختلف، فربما اجتمع في فرقة الكورال الواحدة الذكور والإناث وكذلك الكبار والصغار، كما أن الكورال يعلّم المُشاركين فيه أن الجهد الجماعي هو الذي يؤدّي إلى النجاح، وأن المُشارك هو جزء منه وليس كله، كما يعلّمهم الانتظار واحترام أداء الآخر، فمن يقدّم مقطوعته أو فقرته الآن منفردا، سيكون بعدها ضمن المجموعة، وهكذا ينتظر كل فرد دوره بهدوء.

وعن الملتقى قالت لبانة مشوح وزيرة الثقافة السورية "النشاط يُقام للمرة الثانية في دار الأسد للثقافة والفنون التي استطاعت أن تجمع العديد من الجوقات على امتداد سوريا. وبسبب تكاتف جهود الجميع من موسيقيين وتقنيين وإداريين وصل المشروع إلى هذه النقطة من النجاح، فأتى هذا الشباب الحيوي المليء بالطاقة كي يلبّي مطمح الجمهور بالاستماع إلى موسيقى وغناء راق من خلال هذه الفرق".

وتابعت "ملتقى الجوقات في سوريا نشاط حضاري هام، كونه ينمّي العلاقة بين كل العاملين في هذا النمط الفني، ويؤمّن لهذا الشكل من الغناء الحماية من الاندثار وذلك بنقله للأجيال الشابة، ويخلق جيلا شابا مزوّدا بهذه الأغنيات التي أوجدتها حضاراتنا السابقة التي نعتزّ بها".

لبانة مشوح

فن الكورال يحمي التراث وينمي طاقات الشباب موسيقيا

ميساك باغبودريان

في الكورال تتشارك الطبقات الصوتية العليا مع المنخفضة

وحول الملتقى وأهدافه، يقول المايسترو ميساك باغبودريان مؤسّس فكرة الملتقى "فن الغناء الجماعي ليس طقسا فنيا فقط، هو حالة إنسانية تعني المشاركة والتعاون والتعايش الاجتماعي بين عدة مكونات قد تكون مختلفة في ما بينها أصلا، ولكنها من خلال الكورال تغدو جسما واحدا يؤدّي عملا واحدا يكون الجميع مسؤولا عن نجاحه، ففي فن الكورال يشترك الرجال والنساء وتتشارك الطبقات الصوتية العليا مع الطبقات المنخفضة، وكذلك الآلات المختلفة.. ليكون الناتج النهائي مزيدا من الجمال".

ولم تقف حدود الملتقى في نسخته الثانية هذا العام عند تقديم مختارات من الغناء السوري بقديمه وجديده، بل تمّ تنظيم فعالية موازية دامت أربعة أيام، قدّمت خلالها ورشات تدريبية في فن الكورال التي انقسمت إلى أربعة محاور هي: تقنيات الغناء الكورالي وأنماط الغناء، وأنواع المؤلفات الكورالية، وألعاب كورالية والموسيقى الشعبية السريانية. وفي اليوم الأخير من الملتقى قدّم كورال الحجرة بقيادة ميساك باغبودريان أعمالا كرّست ما تمّ تداوله خلال أيام الملتقى الأربعة.

فن يلتقي فيه المختلف عرقيا وموسيقيا

تونس تحيي الذكرى الأولى لرحيل المطربة نعمة بمجموعة من الفعاليات الثقافية

تونس – في إطار الاستعدادات التنظيمية لإحياء الذكرى الأولى لرحيل مطربة تونس الأولى الفنانة نعمة (السابع والعشرين من فبراير 1934 – الثامن عشر من أكتوبر 2020)، يعكف المركز الوطني للاتصال الثقافي منذ مدة على برمجة مجموعة من الفعاليات الثقافية والفنية التي ستحتضنها دار الثقافة السليمانية بالمدينة العتيقة لتونس العاصمة في السادس عشر من أكتوبر القادم.

وحسب القائمين على التظاهرة من المنتظر إصدار كتاب يحكي مسيرة الفنانة الراحلة على امتداد عقود من العطاء والتألّق في مجال الغناء باعتماد ألوان الطرب التونسي والمغاربي والشرقي، وذلك ضمن سلسلة منشورات "ذاكرة وإبداع" بإشراف مدير المركز الوطني للاتصال الثقافي هشام الدرويش والصحافي شكري باصومي المكلّف بإعداد محتوى الكتاب، وبالتعاون مع مدير قسم البحوث والدراسات بمركز التوثيق الوطني مولدي العارم.

كما سيتم خلال موكب إحياء الذكرى الأولى لرحيل الفنانة نعمة عرض فيلم وثائقي حول حياتها الفنية، فضلا عن إقامة معرض صور يرسم ملامح شخصيتها الفنية مثلما يوثّق لمسيرتها الحافلة بحضور أحباء الفنانة الراحلة وأصدقائها وأفراد عائلتها والمولعين بفنها.

وتعدّ الراحلة من أشهر المطربات التونسيات، وهي التي عرفت أوجّ شهرتها في سبعينات القرن الماضي، ولحّن لها كبار الموسيقيين في تونس وليبيا ومصر.

وولدت نعمة، واسمها الأصلي حليمة الشيخ، في قرية أزمور من معتمدية قليبية من محافظة نابل، وعاشت طفولتها مع أمها بين قرية أزمور وتونس العاصمة في تنقل مستمّر.

ومن نهج الباشا بمدينة تونس العتيقة أين كانت تسكن مع والدتها، كان بيت الرصايصي عبارة عن أستوديو للفن حيث تخرّج منه أكبر نجوم تونس تألّقا ورسوخا في وجدان المجتمع التونسي.

في نهج الباشا كان الاستقرار، وكان الزواج وهي في السادسة عشرة من عمرها، وأنجبت الفنانة ابنها الأول هشام ثم ابنها الثاني طارق ثم ابنتها هندة.

وفي أثناء ذلك كانت تغني في الأفراح العائلية، وبسرعة لمع اسمها وأصبح يتردّد على أفواه الأقارب والجيران، وغنّت للمرة الأولى أمام الجمهور في حفلة خيرية لصالح جمعية المكفوفين، وفي هذه الحفلة وقفت إلى جانب المطربة علية التي كانت تعتبر المطربة الأولى في "فرقة العصر" التي كان يقودها الفنان حسن الغربي.

غنّت نعمة "حبيبي لعبتو" ولاقت هذه الأغنية استحسانا وقوبلت بترحاب كبير من قبل الجمهور الذي لم يسمع بالفنانة من قبل.

وانخرطت الفنانة في المعهد الرشيدي وأصبحت من مطربات فرقة الرشيدية ومنحها الملحن صالح المهدي اسمها الفني "نعمة" ولحّن لها مجموعة من الأغاني العاطفية، من بينها "يا ناس ماكسح قلبو" و"الدنيا هانية" و"الليل آه يا ليل"، كما لحّن لها الفنان خميس ترنان "ماحلاها كلمة في فمي" و"شرع الحب" و"غنّي يا عصفور". وكانت الإذاعة التونسية تنقل كل نصف شهر حفلات الفرقة الرشيدية وتقوم بتقديمها مباشرة على الهواء.

ومن الإذاعة كان الانتشار، ومع الانتشار كانت الشهرة التي جعلتها تدخل الحفلات العمومية من الباب الكبير كفنانة مطلوبة من الجماهير، وخلال بضعة أشهر أصبحت المطربة تجوب البلاد التونسية طولا وعرضا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وتحقّق لهذا الانتشار السريع.

وفي العام 1958 دخلت الفنانة إلى الإذاعة كمطربة رسمية ضمن المجموعة الصوتية التي كانت تضم أشهر الأسماء مثل صليحة وعلية ونادية حسن، ووصلت شهرتها إلى الجزائر وليبيا والمغرب وفرنسا فأصبحت تقيم العديد من الحفلات في هذه البلدان. وغنت في مهرجان انتخاب ملكة جمال العرب ببيروت سنة 1966.

> تونس تستذكر الفنانة نعمة في الذكرى الأولى لرحيلها بمعرض صور وكتاب وفيلم وثائقي حول مسيرتها الفنية

وفي مهرجان ألفية القاهرة سنة 1969، شاركت نعمة ضمن الوفد الفني التونسي في هذه الاحتفالات، وكتب عنها الأديب والشاعر صالح جودت في مجلة "الكواكب" المصرية فقال في انبهار كبير "الواقع أنّني لم أكن أعرف في تونس هذه الثروة الفنية الكبيرة، وهذه الطاقة من الألوان الغنائية، ولاسيما صوت المطربة العظيمة نعمة التي تتميّز فوق عذوبة الصوت بالحركة والحيوية على المسرح، وبالتعبير الثريّ على قسمات الوجه، وبالقدرة الفائقة على تحريك الجماهير، وعلى الكثير من مطرباتنا أن يتعلّمن من نعمة هذه الخصائص، لأن الغناء ليس مجرد عذوبة في الصوت، وإنما عذوبة الصوت لا بد لها من إطار فاخر كإطار نعمة، حيث يتلألأ منها الأداء الحيّ".

أما الأديب والروائي والمسرحي يوسف إدريس فقد خصّ المطربة في المناسبات القليلة التي التقى فيها بالوفد الفني التونسي في ألفية القاهرة بهالة من التبجيل والاحترام، واصفا إياها بأنها تستحقّ عن جدارة لقب "فنانة تونس الأولى".

وفي الثامن من أبريل 2014 حظيت الفنانة الراحلة بتكريم من وزارة الثقافة التونسية تقديرا لمسيرتها الفنية المتميّزة في حفل أقيم بالمسرح البلدي بالعاصمة تحت عنوان "تونس تغني نعمة".

كما تمّ تكريمها في سهرة انتظمت بمهرجان الحمامات الدولي في الرابع والعشرين من يوليو 2019، بمشاركة العديد من الفنانين التونسيين المخضرمين والشباب، لتعود إثرها إلى قريتها أزمور، مقيمة فيها بعد اعتزالها الفن.

وغنّت نعمة كل الألوان الطربية ولم تكتف بلون واحد، فرصيدها الغنائي يتجاوز ثلاثمئة وستين أغنية بتلحين أشهر الفنانين التونسيين والعرب، فقد لحّن لها من تونس كل من خميس ترنان ومحمد التريكي وصالح المهدي والشاذلي أنور ومحمد رضا وسيد شطا وقدور الصرارفي وعلي شلغم وعبدالحميد ساسي، ومن ليبيا حسن عريبي وسلام قدري وكاظم نديم، ومن مصر يوسف شوقي وسيد مكاوي.

عذوبة الصوت والكاريزما منحتاها لقب مطربة تونس الأولى